مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 09 عدد: 5 السنة: 2020
ص: 30 - 43 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

أثر المناهج التعليمية في ترسيخ قيم المواطنة

The effect of educational curricula on the citizenship values consolidation

* الهيصـــاك مختـــار
ELHISSAK MOKHTAR
جامعــة المديـــة يحـــي فـــارس، الجزائـــر
Yahia Fares Unuversity OF Media/ Algeria
sakmokh@gmail.com

تاريخ الإرسال:2020/04/15	تاريخ القبول:2020/10/15	تاريخ النشر: 2020/12/25

ملخص البحث

أصبحت لمناهج التربية والتعليم على المواطنة أهمية كبيرة في المدارس، بغرض التصدي لموجات الاحتواء والإغراق القادمة بفعل العولمة، هذه الأخيرة التي ساهمت إلى حد كبير في تراجع مبادئ وقيم الشعور بالولاء والانتماء للوطن لدى الأفراد، وبقصد الحفاظ على خصوصية الشخصية الوطنية، وعلى تراثها وعاداتها وتقاليدها ومبادئها وقيمها، وتعتبر مناهج التربية والتعليم على المواطنة إحدى أهم الوسائل الحديثة التي تعتمد عليها كل المنظومات التربوية في الجزائر وفي العالم من أجل ترسيخ مبادئ وقيم الشخصية الوطنية والحفاظ عليها، وذلك عن طريق دمج المفاهيم الوطنية وتلك المتعلقة بالمواطنة في البرامج والمناهج والسياسات التعليمية المعتمدة من خلال المدرسة، وذلك عن طريق وضع مواد ومقاييس خاصة بها، أو تضمينها في المحتوى الدراسي على شكل نصوص ومعارف وقيم ومبادئ وسلوكات.

الكلمات المفتاح : تربية، تعليم، منهج، وطنية، مواطنة، إصلاح.

Abstract :

Citizenship education curricula have become of great importance in schools, with the aim of countering the coming waves of containment and dumping as a result of globalization, the latter which has greatly contributed to the decline of the principles and values of the feeling of loyalty and belonging to the homeland among individuals. With the aim of preserving the privacy of the national personality, and its heritage, customs, traditions and principles , the curricula of education and education on citizenship is considered one of the most important modern methods on which all educational systems in Algeria and the world depend in order to establish and preserve the

* الهيصـــاك مختـــار.sakmokh@gmail.com

principles and values of the national character, by integrating national concepts and those related to citizenship in the educational programs, curricula and policies adopted through the school , by developing their own materials and standards, or including them in the academic content in the form of texts, knowledge, values, principles and behaviors.

Keywords: Education, Teaching, National, Citizenship, Reform

تمهيد:

تبدي الدول والحكومات اهتماما متزايدا بالناشئة، وتركز بصفة خاصة على غرس روح المواطنة في نفوس الشباب، وتعويد نفوسها وشحذ وجدانها على القيم والأخلاق الحميدة والمثل العليا، وبناء تطلعاتها نحو استشراف المستقبل وخدمة البلاد، وهو ما لا يتحقق إلا عن طريق التربية والتعليم على المواطنة فهي الأداة الفعالة في تشكيل الوعي بالانتماء، وتسيد القيم والمفاهيم والتنظيمات العامة، وهو ما يتم من عمليات تعليمية وعلاقات تعلمية تفاعلية داخل المدرسة عن طريق المناهج التعليمية، فبات من الأكيد أن تنظيم مسار المتعلمين الدراسي مبني على مجموعة من المناهج الحاملة لكم هائل من البرامج الدراسية، والمصممة على أساس مجموعة من الأهداف البيداغوجية ذات الأبعاد الوطنية، والتي تراعي التربية على المعاني والمبادئ الوطنية كحب الوطن والانتماء إليه، من خلال تقريبها من مناحي الحياة اليومية للمتعلم. وقبل الحديث عن أثر المناهج التعليمية في غرس وترسيخ قيم المواطنة، لا بأس أن نتعرض لمفهومي الوطنية والمواطنة والعلاقة بينهما.

أولا/تعريف الوطنية: هي نوع من الثقافة، ترتبط بكل الحالات الشعورية والسلوكية التي يعيشها الإنسان ويتفاعل معها في علاقته مع الوطن الذي يعيش في كنفه، فهي العناصر المشتركة بين جميع أفراد المجتمع كالقيم والمشاعر والمعارف، والمأكل والملبس، والقوانين، واللغة والعادات والتقاليد، والأنماط الأساسية للعلاقات الاجتماعية والاتجاهات وكل ما يشترك فيه المجتمع ويميزه[1]، اتخذت الوطنية استعمالات أخرى: كقولنا السلطة الوطنية، المنتخب الوطني، الموقع الوطني، المنتوج الوطني، الصناعة الوطنية، وهذا يعني أن من أخذ صفة الوطنية يكون قد رسم صورة أو مشهدا في علاقته بالوطن، كأن يكون قد استشهد من أجل الوطن، أو كان له

موقف مؤيد أو مدافع أو مساند للوطن، وتاريخنا يشهد بكثير من البطولات التي قادها رجال ونساء الجزائر من أجل هذا الوطن، هذه البطولات التي تخلد اليوم بأيام وأعياد خاصة تسمى: الأعياد الوطنية، والأيام الوطنية، إن الوطنية صفة شعورية تصنعها ثقافة الإنسان وحضارته، فهي مجموعة المشاعر والروابط الفطرية، التي تنمو بالاكتساب والتربية، لتشد الإنسان إلى الوطن الذي استوطنه وإلى الأرض التي يسكنها[2]، إن تلك الأفكار والمشاعر السابقة عندما تترجم إلى سلوكات وأفعال من طرف الأفراد لصالح الوطن والمجتمع، على رغم من الاختلاف الحاصل في العرق الدين والعادات والتقاليد، تساهم في إرساء قيم المشاركة والتعاون والاتحاد لبناء الوطن وتنميتة والحفاظ عليه، وينتشر بينهم الحب والاتحاد والتكافل والشعور بالانتماء للوطن الواحد. ومن هنا ينتقل مفهوم الوطنية إلى مفهوم آخر، ويتحول من الفكرة إلى السلوك والفعل، ان الأفكار والمشاعر الوطنية عندما تطبق في الحياة تصبح ممارسة للمواطنة ويصبح هذا العمل هو المواطنة الحقيقية، وبواسطتها يكتسب الفرد ضوابط السلوك، فيعرف ماهو مقبول، وما هو مرفوض اجتماعيا، والحلال والحرام، والخير والشر والمفاهيم والقيم والأخلاق[3].

ثانيا/تعريف المواطنة: يعتبر مفهوم المواطنة من المفاهيم التي تناولها كثير من المفكرين واختلفوا في مفهومها ومعناها، نتيجة ارتباط أفكارهم بأبعاد سياسية، اقتصادية واجتماعية. في حين تنحو المواطنة إلى أبعاد ثقافية، حضارية ومدنية، لكنها ارتبطت أكثر بالمدلولات الأولى، وابتعدت كثيرا على المفاهيم الثانية التي وجدت لأجلها. ويعتبر المثقف المثير الأول للوعي بالمواطنة فهو الممارس لفكرتها والمشارك فيها، وهي لا تعتمد على مبادئ عامة وثابة ولا تحمل معنا واحدا متفقا عليه، إلا أنها تعبر عن مبدأ أساسي وعنصر حيوي هو الشعور بالانتماء، الذي لا يمكن أن يتحقق بدون التربية والتعليم على المواطنة، فالمواطنة لا تعرف كجوهر بقدر ما تمارس على أرض الواقع، فكيف لها أن تتحقق وتمارس بدون فهم واضح لمعناها.

المواطنة نظام من المعتقدات والقيّم، المبادئ وأساليب الحياة، وأنماط الأداء والعمل التي يلتقي فيها أبناء المجتمع ويتميزون بها، وتعبّر على حق الفرد في العيش الكريم والسعيد والآمن في ظل الحكم الراشد، لخدمة الوطن وتكوين مواطن صالح يحب وطنه ويدافع عنه[4]، وهي أيضا سلوكات أخرى كاحترام الراية الوطنية والنشيد الوطني والدفاع عن الوطن بالقول والفعل، والمشاركة في دعوات الفولونتاريا للتنظيف الشوارع والمدن والطرقات والأحياء، والحضور المكثف في

التجمعات الجماهيرية الكبيرة ذات البعد الوطني كالأعياد الدينية والوطنية، والأعياد الثقافية المختلفة. أما المواطنة في المجتمعات العصرية فهي مجموعة من الحقوق والواجبات، أي حقوق المواطن على وطنه والواجبات المستحقة عليه تجاه وطنه، وهي تثبت بحكم القوانين والدساتير والتنظيمات المختلفة[5]، فهي إذن علاقة الفرد بوطنه، التي تضمن له حق الانتماء، وتمنحه عدة امتيازات كالحماية داخل وخارج البلاد، وحقوق سياسية اقتصادية واجتماعية كتولي المناصب العامة، والحق في منصب عمل وفي سكن داخل الوطن، كما تفرض عليه واجبات أيضا مثل الحفاظ على الوطن وحمايته والدفاع عنه، وحماية المنشآت والمرافق العامة[6]، هكذا تكون المواطنة العصرية هي التعبير الحقيقي عن المدنية الحديثة والتحضر، وعلى المؤسّسات القويّة المبنية على شفافية الحقوق والواجبات، ومبدأ تكافؤ الفرص.

وعليه تكون المواطنة هي الممارسة الحياتية الاجتماعية الفردية والجماعية المتحضرة المتميزة والخاصة بكل مجتمع، وفق المعتقدات والقوانين والتنظيمات والعادات والتقاليد السائدة فيه، وهي معرفة كل الحقوق المشروعة وحدود القيام بالواجبات في أي مجتمع من المجتمعات وممارستها وتحريها، وتشجيع نهج الحوار والمشاركة والتسامح وقبول الآخر بإيجابياته وسلبياته، هي الوسيلة الوحيدة لتكريس مبدأ احترام سيادة القوانين والتنظيمات السارية المفعول، هي أساس التعايش والأمن والعيش في سلام بين الناس على الرغم من اختلافهم وتنوعهم، المواطنة مطلب ورغبة الشعوب، وهي ليست نتاج اجتماعي تاريخي بفعل الصدفة، بل هي وضع إنساني يعبر عن الحياة المشتركة وعن التقاليد الخاصة بكل مجتمع[7].

يواجه الكثير من الدارسين التباسا في التفريق بين الوطنية والمواطنة وتداخلا في مفهومهما، فيستعملون كلمة المواطنة للدلالة على الوطنية والعكس، في حين أن المصطلحين يحملان فرقا كبيرا، الوطنية هي تعبير عن الجانب النظري والتشريعي في حين تعبّر المواطنة عن الجانب التطبيقي والميداني العميق، ويكتسب الفرد المواطنة بمجرد انتسابه إلى جماعة أو دولة معينة، ولكنه لا يكتسب الوطنية[8]، التي تبقى شعورا وجدانيا فطريا تجاه الأرض التي ولدنا عليها وولد عليها أبائنا وأجدادنا، إذن تختلف الوطنية عن المواطنة في كونها تمثل الجانب النظري أو الفكري أو حتى العقائدي، أما المواطنة فهي الممارسة الفعلية لتلك الأفكار وتطبيقها في الحياة اليومية. تشترك كل من الوطنية والمواطنة في كونهما تتناولا كل ما ينتجه الإنسان من ثقافة خلال تفاعله داخل

الحدود الترابية أو داخل الوطن، إنهما كل المشاعر والسلوكات التي يكتسبها الإنسان على الأرض وفي الطبيعة عبر الحياة، بالإضافة إلى أن كلاهما مرتبط بأبعاد إنسانية ثقافية وحضارية مشتركة بين مجموعة من الأفراد على رقعة ترابية محددة هي الوطن، لذا لا يمكن أن ننتظر مواطنة متحضرة ما لم يكن هناك تأسيس حقيقي لفكر وطني واقعي، ينطلق من المدرسة عن طريق التربية والتعليم على المواطنة لترسيخ القيم والمبادئ والأخلاق.

ثالثا/ أهمية مناهج التربية والتعليم في ترسيخ قيم المواطنة: تخاطب التربية والتعليم عن طريق المدرسة عقل الفرد من جهة لتمده بالمعارف اللازمة عن تطور العلوم والتكنولوجيات العصرية، وعن تاريخ بلده وبطولاته وحضارته وكل المعلومات الضرورية لمعرفة حقوقه وواجباته، كما تخاطب أيضا وجدانه من جهة ثانية لتكون لديه منظومة من القيم والأخلاق والمبادئ والمعارف والسلوكات، ومن جهة ثالثة تنمي لديه الإحساس بالافتخار والاعتزاز بالانتماء لوطنه، وتحفزه على العطاء والإخلاص والتضحية، كما تتوجه إلى حواسه وعقله فتمده بالمهارات الكافية في كل المجالات التواصلية والتقنية والعلمية التي تجعله قادرا على الإبداع والتميز من جهة، وقادرا على التعريف بحضارة بلده والدفاع عنها من جهة ثانية، وهذا لا يتسنى للمدرسة إلا من خلال اعتماد مناهج تعليمية مدروسة ومحددة وهي مناهج التربية والتعليم على المواطنة أو المناهج التعليمية لترسيخ قيم ومبادئ المواطنة.

سيطرت في الآونة الأخيرة مظاهر اللاوطنية أو ما يعرف بالمواطنة الموازية ضد المجتمع والوطن على سلوكات الشباب، وأخذت هذه المظاهر أشكالا متعددة ومختلفة من العنف والفوضى، مست عدواها كل أجناس المجتمع المرأة والرجل، الصغير والكبير، فرادى وجماعات، وذلك لأسباب كثيرة ومختلفة كالحقوق اللغوية، الاستقلالية الجهوية، التمثيل السياسي، السياسة المدرسية والتعليمية، وأخرى تتعلق بالحدود الإقليمية، وبسياسة الهجرة، وبرموز ومبادئ وقيم الأمة[9]، هذه السلوكات المشينة القائمة على تخريب الملك العام والمسيئة لحياة الفرد والمجتمع والوطن، والبعيدة عن هويتنا وعاداتنا وتقاليدنا وتاريخنا، والمبنية على ثقافة الانسلاخ والفتنة والحقد، وعدم الاعتراف بالقيم والأخلاق والقوانين، وكثرة الظلم وانتشار الفساد. بالإضافة إلى انتشار ظاهرة الحراقة أو الهجرة غير الشرعية، حيث يركب كثيرا من الشباب قوارب الموت عبر البحر المتوسط تجاه أوربا جريا وراء الحلم السعيد، فإن وصلوا بسلام إلى أوربا فإنهم يرضون بعيشة

الذل الهوان والأعمال الشاقة، ويلجؤون إلى تمزيق وثائقهم وتنصلهم من هويتاهم وبلدانهم الأصلية، بالإضافة إلى تزايد حالات الانتحار والعنف بين المتعلمين، وانتشار المخدرات والمهلوسات بينهم، وازدياد ظاهرة التسرب المدرسي، دون أن ننسى ظاهرة أخرى ما فتئت تعرفها كل ثانويات الوطن مع اقتراب امتحان البكالوريا من كل سنة، وهي هذه المسيرات التي يقوم بها مترشحو البكالوريا لتحديد العتبة الدروس التي سيمتحنون فيها، وما يصاحب ذلك من عنف وتخريب وحرق للمدارس، ولكل ما هو مرتبط بالتربية والتعليم.

إن كل هذه المظاهر تقف عائقا أمام محاولات الإصلاح الاجتماعي والتربوي، وإنها لتدل دلالة عميقة على أن هناك خللا ما في السيرورة الحياتية والتكوينية للفرد وللمجتمع ككل، وهو ما يدل أيضا على خلل في المواطنة. ولإصلاحه وتقويمه، وترسيخ القيم والمبادئ الوطنية، وإرساء سلوكات المواطنة في نفوس المتعلمين، يجب الرجوع إلى المدرسة والتفكير في طبيعة المناهج والبرامج التعليمية المعتمدة، ويجب اعتماد مناهج تعليمية خاصة في التربية على المواطنة، وعلى ترسيخ منظومة القيم والأخلاق، فما هي المناهج التعليمية الخاصة بترسيخ قيم ومبادئ المواطنة؟ وما هي أسسها ومبادئها؟ وهل هذه المناهج مستقلة بذاتها أم أنها مناهج مكملة للمناهج الأساسية؟

إن التربية والتعليم على المواطنة هي مواطنة في حد ذاتها، وهي تربية قائمة على تمرير بعض الأفكار والمعارف والسلوكات ذات الطابع الوطني، وهي عملية شاقة ومتواصلة، تفرض مجموعة من التحديات على نظم ومناهج التربية والتعليم على المواطنة[10]. والحديث عن التربية والتعليم على المواطنة، يقودنا حتما للحديث والبحث في مناهج تعليم المواطنة والتربية عليها. لقد كانت البنوية تصورا جديدا، انتقل بالدراسات الإنسانية والعلمية من ضفة إلى ضفة أخرى، نظرا للنظريات والطرق والوسائل التعليمية غير المألوفة التي حملتها هذه المقاربة، فمناهج التعليم والتربية على المواطنة مستمدة هي أيضا من المناهج البنوية، فهي مجموعة البنى الإنسانية والسياسية والإيديولوجية والأخلاقية والقيمية، والدينية والتراثية والثقافية والتاريخية، وكل الكفاءات والأفكار الوطنية التي يجب تعليمها للنشء[11]. هذا التصور الجديد لمناهج التعليم على المواطنة يدفعنا للتفتيش عن النصوص والمواضيع التعليمية ذات البعد الوطني في البرامج والمضامين المدرسية، ومكانة وحيز الثقافة المحلية فيها من تراث، ودين وإرث فلسفي وإيديولوجي[12].

لا تعدو المناهج التعليمية الخاصة بالتربية على المواطنة أن تكون سليلة المناهج التعليمية العامة، لها عملياتها ووسائلها وأدواتها وطرقها وأفكارها ومعارفها ومضامينها الخاصة بها، لتمرير المعارف وكل التعلمات والسلوكات ذات البعد الوطني للمتعلم، وإعانة المعلم أيضا على الوصول ببرنامجه التعليمي إلى بلوغ الأهداف والمرامي الوطنية المسطرة، وغرس قيم ومبادئ المواطنة. تقوم المناهج التعليمية الخاصة بالتربية والتعليم على المواطنة على استثمار تجارب وخبرات ونتائج المناهج التعليمية العامة في تحويل المعرفة العلمية إلى معرفة وطنية، وإلى عادات اجتماعية مستمرة بين الأجيال[13]، وتستند إليها في تعريف المتعلمين بتاريخ بلدهم وبطولات أسلافهم، وتعريفهم بعناصر التراث الثقافي المحلي ومساعدتهم على فهمه، وتكوين اتجاهات إيجابية لديهم نحو تراث وعادات وتقاليد وثقافة أمتهم[14]،هكذا تتحول مختلف المهارات والتعلمات العامة إلى قيم ومبادئ وعادات وسلوكات وطنية واجتماعية متواصلة، مترجمة لعلاقة الحب والود والغيرة الموجودة بين المتعلم ووطنه، ويركز المختصون في الشأن التعليمي والتربوي على نشر وتمرير ثقافة المواطنة، انطلاقا من المدرسة، التي تلعب فيها المناهج التعليمية الخاصة بالتربية على المواطنة دورا أساسيا[15]، ويسهرون على تكوين مواطن صالح واعي بقيمة الوطن وبرموزه ومبادئه، يحب وطنه ومجتمعه ومحيطه وبيئته، فخور بعاداته وتقاليده وممجدا لانجازات وبطولات أبناء وطنه وأمته، معتز بتراثه وبتاريخ بلاده وثورتها وأبطالها. ويسهرون أيضا على توفير بيئة تعليمية مبنية على القيم الديمقراطية والمساواة وتكافؤ الفرص، وإعطاء أهمية لاستغلال تلك البيئات البيداغوجية في إعداد مواطن المستقبل الضروري في بناء المجتمع وتنمية الوطن[16].

إن أسس ومبادئ مناهج التربية والتعليم على المواطنة هي أولا العنصر البشري ممثلا في المعلم والمتعلم وثانيا المادة الوطنية ممثلة في المضمون والمحتوى والنصوص، وفي كل المشاعر والمعارف المترجمة إلى تعلّمات وطنية، من خلال البرامج البيداغوجية والمضامين الواردة في الكتاب المدرسي، ومن خلال نشاطات التربوية داخل المدرسة وفضائها، والسلوكات العامة في حدود المحيط والمجتمع والأسرة، وطبعا لا يمكن الحديث عن هذه المناهج كمناهج أساسية واضحة ومحددة، لكنها تعتبر تدعيمات ومخرجات مهمة للمنهج التربوي البيداغوجي العام. لصناعة لحمة وطنية بعيدة عن كل المزايدات والفتن والأفكار المغرضة، الهادفة إلى التفرقة ونشر العنف والفوضى في المجتمع وداخل الوطن، إذن هي مضامين بيداغوجية لابد منها ضمن المناهج التعليمة

الأساسية، التي تسعى لترسيخ قيم المواطنة وتقريبها من مناحي الحياة اليومية للمتعلم، من خلال خلق تناسق وتناغم بين المعرفي/النظري وبين التطبيقي/الحياتي، والربط بين التربية على المواطنة وبين تعليم المضمون المعرفي المقرر، وبين القضايا والمشكلات اليومية الاجتماعية للمتعلم.

فيجب تركيز البحث في المناهج والأساليب التي يعرف بها المتعلم وطنه ويحبه ويدافع عنه ويغار عليه ويعتز به، ومن المناهج التعليمة الحديثة التي يجب الاستثمار فيها، نجد المنهج التواصلي الديمقراطي، الذي يضمن حرية المتعلم، وحقه في إبداء الرأي واختيار الأساليب والأنماط التي تلائمه، من دون المساس بحريات الآخرين، وفيه تشجيع كبير على الخلق والإبداع[17]، وتؤكد الدراسات الاجتماعية والتربوية الحديثة على ضرورة تزويد المعلمين قبل الخدمة بالتربية المدنية والوعي السليم بالديمقراطية، ليساهموا في تعميق المفاهيم والممارسات الديمقراطية في نفوس المتعلمين[18].وكل هذا لا يتم إلا من خلال اختيار وتوظيف البرامج البيداغوجية والمناهج التعليمية التي تأخذ في الحسبان رموز الدولة ومبادئها وقيّمها وبطولاتها وانجازاتها وأبطالها، دون أن ننسى تاريخها وتراثها وعاداتها وتقاليدها، ولا يمكن الحديث هنا عن مناهج تعليمية صرفة للمواطنة، ولكن نتحدث عن مناهج تمس بأشياء وطنية، وتجعل من التربية والتعليم ظاهرة تعليمية تربوية اجتماعية وطنية وتراثية جامعة وشاملة، تساهم في تكوين جيل من الناشئة متشبع بالمبادئ الوطنية وبالتراث والثقافة المحلية ومتفتح على كل الثقافات العالمية، محب لوطنه ومدافع وغيور عنه، ويعمل على تحضره وتطوره ورقيه.

إلا أن سيطرة الاقتصاد ورؤوس الأموال على كل مناحي الحياة الإنسانية، ساهم في ظهور بعض المناهج التعليمية ذات الطابع الاقتصادي، والتي تهدف إلى جعل المدرسة مؤسسة اقتصادية إنتاجية قائمة بذاتها، أو هي مصنع له خصوصيته المحددة ونوعية إنتاجه، إنها محاولة لنمذجة وإخضاع الأنظمة التربوية، للنموذج الاقتصادي المؤسساتي، ولمؤشرات النوعية التعليمية، وهو ما يعكس تقارب فكرة المدرسة من المصنع أو المؤسسة الاقتصادية، فتخضع هنا عملية التربية والتعليم لمنطق اقتصاد السوق وتبتعد عن المعاني الإنسانية والاجتماعية التي وضعت لأجلها[19]، فالتعليم والتربية من الظواهر اللصيقة بالإنسان، الذي يعتبر عنصرا هاما في تكوين المجتمع والحضارة الإنسانية والوطن.

رابعا/مناهج التربية والتعليم على المواطنة في المدرسة الجزائرية:

تحاول الجزائر جاهدة منذ الاستقلال القيام بإصلاحات تربوية وبيداغوجية، تمس المناهج التعليمية والبرامج المقررة، وذلك بغرض الإصلاح التربوي والتعليمي، استجابة لحاجات الوطن من بناء وتشييد، ولما تفرضه عجلة التطور المعرفية والعلمية التي يشهدها العالم، ونظرا لعجز وقصور المناهج المعتمدة على تقديم البديل التعليمي الجيد، والحلول اللازمة للمشاكل الاجتماعية والتعليمية[20]. لكن عملية اللجوء إلى الإصلاح التعليمي قد يكون منطقية ومحتومة، لأنه من خصائص العلم النسبية في كل شيء، فلا معارف مطلقة ولا نتائج نهائية، فحقائق اليوم ليست حقائق الغد، المعرفة ليست مطلقة ونهائية، فهي قضية مطاطية قابلة للتغيير وللتجديد، والمناهج التعليمية هي الأخرى خاضعة للتطور والتغيير والإصلاح وللحذف والإضافة من زمن لآخر، وتتأثر النظم التربوية والتعليمية في العالم بالظروف الاجتماعية والحضارية المتغيرة هي بدورها أيضا[21]، وهذه التغيرات والتعديلات تدخل دائما في باب الإصلاح والتجديد التربوي والتعليمي، لإتاحة الفرصة لطاقات الإنسان المبدعة على العمل والحركة دون قيود ثقافية أو إدارية أو مادية. ويعتبر مدخل الإصلاح التربوي والتعليمي الأساس في ذات الوقت لمدخل الإصلاح الثقافي كأحد مداخل الإصلاح الوطني العام الشامل الذي ينشده جميع الفاعلين في العملية التعلمية التعليمية[22]، يلجأ المسؤولون والمختصون والباحثون في الشأن التعليمي لعملية إصلاح وتعديل المناهج التعليمية والتربوية، بغرض تكييفها بما يتماشى ومتطلبات العصر، وبما يحافظ على هوية وثقافة المجتمعات، وبما يرفع مردود وجودة مستوى التعليم، ويحمي الطبقة الناشئة من الانحراف والحيف، والانصياع إلى الخطابات الهدامة والأفكار الضيقة التي تنادي بالتفرقة والعنف والفوضى، فقط يجب الاحتراز من هذه الإصلاحات التي قد تؤدي إلى إحداث قطيعة ابستيمولوجية مع التاريخ والتراث والحضارة، ومع المرجعية القاعدية للشخصية الوطنية، وكل الإصلاحات المبنية على هذا أساس القطيعة مع التراث ستصطدم بمناعة حضارية أقوى، قوامها الأسرة والمجتمع والمدارس القرآنية والرواية الشعبية والمرجعية التاريخية، وكل القيم والمبادئ المتأصلة في المجتمع والأمة الجزائرية[23].

إن ما شهده العالم العربي مؤخرا من ثورات، أدخله في دهاليز مظلمة من العنف والحروب الأهلية، وقضى على كل بناها التحتية وانجازاتها ومكتسباتها، ومازالت كثير من الدول تتخبط فيها إلى اليوم، وهو الوضع الذي طرح مشكل الخلل في التربية على المواطنة ضمن المناهج التربوية المعتمدة فيها، ويدعو إلى ضرورة المراجعة الدورية لهذه المناهج، فتلك الدول التي

عرفت حالات اللااستقرار كانت تعاني من خلل في المواطنة وفي الفهم الجيد لمقومات الأمة، أو أنه كان هناك غياب لتقييم ومتابعة مناهج التربية والتعليم. وهو ما منح الفرصة وفتح المجال لذوي العقول الضيقة في السيطرة على فكر الشباب وتوجيهه لسبل الكره والضغينة والحقد، إن إقرار مشاعر الحقد والكره والضغينة من شأنه أن يضفي على العنف والفوضى نوعا من الشرعية والتبرير، وهو ما يؤدي إلى تدمير أسس التربية والديمقراطية[24]. إن الفتن والتعصب والتطرف ما هي إلا الطريق السهل لإفساد العقول والقلوب. الجزائر هي الأخرى لم تسلم من هذه التطورات، فقد عرفتها في العشرية السوداء، لكنها تداركت الأمر وقامت بإصلاحات كبيرة في الجانب التربوي والتعليمي والسياسي والاجتماعي، وهو ما حفظها وأبعدها عن موجة الرياح والأعاصير الفوضوية والمدمرة التي عرفتها بعض الدول العربية، لجأت الجزائر منذ الاستقلال إلى الإصلاح والتغيير في مناهجها التعليمية، حيث تدرجت من التعليم الموجه التلقيني القديم الموروث، إلى المدرسة الأساسية والمقاربة بالأهداف ثم المقاربة بالكفاءات، وهي المقاربة المعتمدة إلى اليوم مع بعض التغييرات منذ سنة 2000، والتي مست تسميات بعض المواد أو حذفها أو دمجها في مواد أخرى، وتغيير في عدد سنوات التعليم في الأطوار المختلفة، كما مست التغييرات الأفكار والمعارف، وأساليب تقديمها وطرق تمريرها للمتعلم. لكن السؤال المطروح هو: هل أخذت كل هذه الإصلاحات التي عرفتها المنظومة التربوية الجزائرية منذ 1962 قضية الوطنية والمواطنة بعين الاعتبار، وهل كانت هذه القضية مأخوذة مأخذ الجد بين الخبراء والباحثين التربويين؟ أم أن التغيير الذي كان يمسها كان يقتصر على تغيير الاسم فقط من مادة التربية الوطنية إلى مادة التربية المدنية والاجتماعية، أم أنه كان يتم تضمينها في مواد أخرى من البرنامج.

يشير الإصلاح التعليمي والتربوي عادة إلى عملية التغيير في النظام التعليمي، أو في جزء منه نحو الأحسن، وغالبا ما يتضمن هذا المصطلح معاني اجتماعية واقتصادية وسياسية، بل أن بعض علماء اجتماع التربية يعرفون الإصلاح التعليمي والتربوي الحقيقي بذلك الإصلاح الذي يتضمن عمليات تغيير سياسية واقتصادية واجتماعية[25]، إنه من المؤكد أن التربية تتأثر أهدافها ونظمها ومناهجها باختلاف العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وعليه فالإصلاح التربوي والتعليمي يجب أن يمس كل الميادين التي لها صلة بالعملية التعلمية التعليمية من قريب أو من بعيد[26]، فيمس أولا اسم الوزارة الوصية والتشريعات الوطنية الخاصة بالتربية والتعليم، ويمس طبيعة

ودور ووظيفة المعلم والمتعلم وتوضيح الحدود بينهما، ثم يمس البرامج والمضامين والمحتوى المعرفي والعلمي المقترح والمعروض للمتعلم، ويمس الطرق والوسائل البيداغوجية، والكتب المدرسية، والأحجام الساعية لكل البرنامج التعليمي، ويمس كذلك العنصر البشري سواء كان المعلم أو المتعلم، فيشمل تحسين ظروف وبيئة التعليم والتعلم من الأسرة إلى المدرسة. ويجب إعطاء أهمية كبيرة للتقارير الدورية والسنوية التي يعدها المفتشون من خلال تقييماتهم ومتابعاتهم وزياراتهم للمؤسسات التربوية، ومن خلال النتائج السنوية لكل الأطوار التعليمية، ويجب ربط كل ذلك بالمردود الفعلي على مستوى الفصول المدرسية، ومن خلال نسب نتائج الامتحانات النهائية للأطوار التعليمية. والهدف من هذه الإصلاحات في المناهج التعليمية هو حماية المجتمع والفرد من الثقافات الغريبة عن المجتمع الجزائري والتي تهدف إلى نشر الفوضى والعنف داخل الوطن.إن الاستثمار الحقيقي هو الاستثمار في العنصر البشري، الذي هو الإنسان الوطني الذي يحب وطنه ويشعر بالولاء والانتماء له ولأمته ولمجتمعه، والعمل على خدمته والدفاع عنه، والحفاظ على انجازاته وحمايتها.

لكن في الآونة الأخيرة أصبحت تقريبا المناهج التعليمية واحدة في جميع دول العالم، فكل الإصلاحات والتجديدات التربوية والتعليمية والثقافية، تمس دائما جانبا من جوانب فلسفة التربية أو الأهداف أو الغايات أو الاستراتيجيات أو السياسات أو المعارف[27]، وهذا كله نتيجة للعولمة، ونتيجة لتطور وسائل الاتصال الالكترونية كالشبكة العنكبوتية، ووسائط التواصل الاجتماعي، وكل الوسائل الالكترونية الأخرى. بالإضافة إلى تأثير تلك الوسائل اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وسياسيا وتربويا على الشعوب وعلى المجتمعات، ودور بعض المنظمات العالمية، كاليونسكو واليونيسيف ومنظمة التربية العالمية، وتدخلها في السياسات التربوية والإصلاحية للدول ومراقبتها، لأن كثيرا من الدول ونتيجة لعجزها الاقتصادي والمالي، تلجأ إلى هذه المنظمات لتمويل مشاريعها التربوية والتعليمية، فتفرض عليها كثيرا من الشروط وتراقبها. دون أن ننسى العمل التطوعي والخيري الذي تقوم به تلك المنظمات وترعاه في كثير من دول العالم خاصة في إفريقيا وآسيا وفي أمريكا اللاتينية. العالم اليوم يسير نحو الإنسانية العالمية الواحدة، التي تشترك في كل شيء من الشرق إلى الغرب ومن القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي، وتسير نحو تحطيم الحدود التقليدية، والقضاء على الثقافة المحلية والإقليمية، وبهذا يصبح تراث وتاريخ كل الدول

معرّضا لخطر الإغراق والذوبان، وهو ما يؤثر بصفة مباشرة على مقومات المواطنة وعلى المبادئ والرموز الوطنية وعلى الثقافات المحلية لتلك الدول والشعوب.

خامسا/الخاتمة والنتائج:

-/ عملية إعداد المناهج التعليمية صعبة و شائكة، وهي أساس نجاح أو فشل كل المشاريع التربوية، وقبل إعداد كل مشروع تربوي يجب الوقوف عند بعض المفاهيم المرتبطة بحياة المتعلم وظروفه وبيئته ومجتمعه وعادات وثقافة وطنه وقيمه ومبادئه.

-/ينمو الإحساس بالمواطنة والانتماء إلى الوطن عن طريق السعي الحثيث إلى اكتشاف المواطن لذاته ومحيطه أولا، ثم عن طريق المعرفة والمعايشة والتقارب ثانيا، ومن خلال هذا الاكتشاف تتشكل لديه الاقتناعات والتصورات المرتبطة بوجوده، والوعي بمختلف الأبعاد الحقوقية والاجتماعية والثقافية، وهذا ما يساعد بعد ذلك على بناء المواقف والاتجاهات ومناقشتها في ضوء القيم السامية للمواطنة، كما يساعد على بناء القدرات والمهارات التي تمكن من الإبداع والابتكار والتميز من أجل تطوير مسيرة الوطن وتغذيتها بكل أساليب التشجيع والتحفيز.

-/ تأخذ المناهج التعليمية على عاتقها توفير كل الطرق والأساليب والوسائل التعليمية والأنشطة التربوية التي تهدف إلى تحقيق الأهداف البيداغوجية العامة، والتي يعتبر هدف ترسيخ قيم ومبادئ المواطنة لدى المتعلمين واحدا منها.

-/للمناهج التعليمية أهمية كبيرة في الحفاظ على الهوية الوطنية، وحماية الشخصية الوطنية من الاضمحلال والزوال، عن طريق تحيين الثقافة الوطنية والمحلية وفق التطور والرقي الذي تعرفه البشرية، وهذا من خلال السماح بالانفتاح على الآخر وعلى كل الثقافات العالمية والمحلية وتكريس مبدأ الحوار بينها، وتحقيق مبدأ تعايش الأديان وحرية المعتقد، وحرية التفكير والتعبير والتأسيس للديمقراطية الاجتماعية والسياسية، والقضاء على كل أشكال الفكر المتطرف والإقصاء، وعلى الجهوية والعنصرية وحماية حقوق المجموعات الضعيفة والأقليات الثقافية.

-/ لكي تساهم المناهج التعليمية بشكل جيد في التربية على المواطنة، يجب أن تكون قيم ومبادئ المواطنة وعناصر الولاء للأمة والانتماء للوطن، حاضرة في المضامين والمحتويات البيداغوجية، وفي كل النشاطات ذات البعد التربوي والتعليمي سواء داخل الفصل أو خارجه، ويجب التأسيس لمحيط تربوي يبدأ من الأسرة إلى المدرسة، تلتقي فيه عين المتعلم بأشياء وطنية تدل

على قيم ومبادئ المواطنة تثير انتباهه وتكون نوعا من الشعور والإحساس بينه وبينها، يترجم إلى سلوك يعبر به عن حبه لها وتمسكه بها، ويحس بمكانة الوطن في قلبه، ومدى ارتباطه وانتمائه لمجتمعه ومدى ولائه لأمته وعاداته وتقاليده وتراثه.

-/ يجب أن تكون عملية ضبط المناهج والبرامج التعليمية في بلادنا مدججة بالمبادئ والقيم التي تعبر على بيئتنا ومحيطنا وتركيبتنا الثقافية الدينية والأدبية، وعاداتنا وقيمنا وتراثنا، وتعرف بتاريخنا وبطولاتنا وانجازاتنا، حتى نؤسس لمدرسة الأصالة والمعاصرة المتفتحة على كل علوم وثقافات العالم، ويجب اختيار الكم المعرفي والنوعي المناسب لترسيخ قيم ومبادئ المواطنة في نفوس المتعلمين، وتنمية الشعور الوطني لديهم، وزيادة حبهم لوطنهم وأمتهم ومجتمعاتهم.

هوامش:

[1] – محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 2013، ص136.

[2]– طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة/مصر، 2012، ص53.

[3] – محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص137.

[4]– محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص136.

[5] – طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص 13.

[6] – أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، دار وائل للنشر، عمان/ الأردن، ط1، 2011، ص43.

[7] - Monique Castillo, La citoyenneté en question, ellipses, paris, France, 2002., p28.

[8]– طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص52.

[9] - will kimlycka, la citoyenneté multiculturelle une théorie libérale du droit des minorités, traduit de l'anglais par patrick savidon, la dicoverte, paris, France, 2001 , p9.

[10]– طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص81.

[11]– محمد سلمان فياض الخزاعلة، عبد الله بن جمعة الشقصي، حسين عبد الرحمن السخني وعساف عبد ربه الشوبكي، نظريات في التربية، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان/الاردن، 2011، ص209.

[12]– طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص81.

[13]– محمد سلمان فياض الخزاعلة وآخرون، نظريات في التربية، ص 216.

[14]– محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص138.

[15]– طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص82.

[16]– أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، ص85.

[17]– محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص142.

[18]– أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، ص ص 84-85.

[19] - Yves Lenoir, Constantin Xypas et Christian Jamet , Ecole et citoyenneté un défi multiculturel, armand colin, paris, France, 2006, p14.

[20]– ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان/الأردن، 2013.، ص ص 84-85.

[21]– أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، ص239.

[22]– شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، القاهرة/مصر، ط1، 2009، ص13.

[23]– فضيل إبراهيم مزاري، الإصلاحات التربوية وإشكالية إعادة إنتاج الشخصية الوطنية، جريدة الخبر، السنة:26،مؤسسة الخبر، الجزائر، عدد:26 أوت2016 المواقف لـ23 ذي القعدة 1437، ص4.

[24]– شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص16.

[25]– شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص17.

[26]– أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، ص261.

[27]– شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص ص 17-18.